



المقابلات



هاتيو رونو مفكر فرنسي وأستاذ الفلسفة السياسية في جامعة باريس الثامنة، ومؤلف كتاب «إمبرطورية الثورة الروسية»، يعتبر في مقابله مع «الأخبار» أن الثورة البلشفية هي التي ساهمت بشكك حاسم بجعل الماركسية نظرية صالحة للتغيير الثوري خارج السياق الأوروبي

أجراها وليد شرارة - محمد بلوط

تبلورت لدى لينين
فكرة بوجود أكثر من
طريق للوصول إلى
الاشتراكية (أضرب)

هاتيو
رونو

لينين تعامل مع الإسلام
بصفته دين أمة مضطهدة

الاستعمار والثورة في الشرق، وهي نصوص تدعو السوفييات إلى التحالف مع الشعوب التي تستعمرها القوى الغربية الامبريالية، الفرنسية والبريطانية وغيرهما. لكن مسألة شعوب الشرق تطرح في روسيا نفسها. قال لينين في تقريره أمام الاممية الثانية إن السؤال حول تطبيق الاستراتيجية والتكتيك الشيوعيين، في سياق ما قبل الرأسمالية، قد طرح علينا أولاً انطلاقاً من جمهوريات آسيا الوسطى وفي مستعمراتنا. كان للبلاشفة حقل تجارب داخل الإمبراطورية الروسية نفسها. وكانوا أحياناً يتفاعلون مع مسألة الشعوب المستعمرة، ويجبرون على الاستجابة العادلة لبعض التطورات التي لم تكن لتخطر ببالهم. وكانوا يتفاعلون أحياناً بطريقة سيئة. أما لينين، فكان مقتنعاً أنه إذا كان لا بد من تصدير الثورة إلى الشرق، فينبغي على السوفييات أن يسلكوا داخل روسيا نفسها سياسة معادية للإمبريالية، وخصوصاً في آسيا الوسطى.

(وسلام همتي)



الاستعمارية الأخرى. كان لينين يقول للبلاشفة إن عليهم ألا يعتقدوا أن الثورة لا يمكنها أن تكون الاشتراكية، وإنه لن تقوم الثورة من دون التلاحم بين النضال من أجل الثورة الاشتراكية في أوروبا والتحرر الوطني في البلدان المستعمرة. ومن خلال هذه الفكرة تبلورت لديه الفكرة بوجود أكثر من طريق للوصول إلى الاشتراكية، ولا يوجد طريق واحد تاريخي يمكن الوصول عبره إلى الاشتراكية.

■ بعكس أدبيات الماركسية الكلاسيكية المعادية للدين، لم يكن لينين ينظر إلى الدين كعقبة في طريق الثورة العالمية. وتذكر جميعاً شعار زينوفيف «ليعيش جهاد شعوب الشرق ضد الامبريالية العالمية»، أمام مؤتمر شعوب الشرق» في عام 1920 في باكو. وعرف لينين بمواقف كثيرة ترى الإسلام قادراً على لعب دور حاسم في النضال ضد الامبريالية.

أوافق على ذلك انطلاقاً من عبارة زينوفيف أمام «مؤتمر شعوب الشرق» في باكو، حول الجهاد المقدس ضد الإمبريالية الفرنسية والبريطانية. واعتقد أن هذا الموقف بشكل النقطة الصفرة في ابتكار لينين ماركسية شرقية. أشعر أن عبارة زينوفيف في مؤتمر باكو، جزء من استراتيجية تعبئة لقوة لواعية وكبيرة، وهي لم تكن من ضمن استراتيجيات لينين آنذاك، رغم الحماسة الكبيرة التي أحاطت بمؤتمر باكو. كان لينين يقول إنه «لا ينبغي أن نطلي الوطنية أو الدين بالأحمر». هذا لا يعني أنه لم يكن يمتلك مفهوماً خاصاً للدين، قريب جداً مما كان يعتقد الشيوعي مراد غاليف، رغم كل الخلافات بينهما. هذا المفهوم يمكن اختصاره بأن الإسلام هو دين أمة مضطهدة، كما أنه عنصر مكون للمشاعر الوطنية، ولا ينبغي النظر إليه بالطريقة التي يُنظر بها إلى أي دين آخر. وطالب بالا تنطبق عليه إجراءات الدعاية البلشفية ضد الأديان. وبسبب ذلك شهد الحزب الشيوعي في تركستان السوفياتية عمليات تطهير من العناصر الروسية فحسب. وقد أوحى لينين للمنظمات الشيوعية في الأقاليم التي ينتشر فيها المسلمون، بتحاشي أي انتقاد غبي للإسلام.

■ هل ترى أن وجود مستعمرات في الإمبراطورية الروسية التي ورثها البلاشفة قد صقلت فهمهم للمسألة الاستعمارية؟
تعيدنا هذه المسألة أولاً إلى نصوص لينين حول النضال ضد

■ لينين ترجم الماركسية إلى الروسية، أي أعاد تكييفها لتتناسب مع السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية في روسيا. ما هي الخطوط العريضة لعملية التكييف هذه، خصوصاً في نقل الماركسية من مركزيتها الأوروبية نحو البلدان المستعمرة؟

نلاحظ في نصوص لينين الشاب من السجال مع الشعوبيين الروس، في روسيا نهاية القرن التاسع عشر، وحتى كتابه «ما العمل»، هاجساً حاضراً باستمرار هو كيفية تطبيق الماركسية على الواقع الروسي. فمع معارضته للشعوبيين الروس الذين يقولون إنه لا بد من شق طريق خاص نحو الاشتراكية في روسيا، بما أنه من غير الممكن للرأسمالية أن تتطور وتتجذر في روسيا. عارض أيضاً القول إنه يكفي تطبيق الصفات الماركسية التي وضعت لأوروبا الغربية كي تقوم الاشتراكية. وكان يرى أن هناك خصوصية روسية لا تتناقض مع تطور الرأسمالية. التطور الرأسمالي في روسيا انطلق فور إلغاء نظام القنانة، بطريقة موازية ومماثلة وقريبة لما شهدته الولايات المتحدة بعد إلغاء العبودية الزراعية. وقد تبين للينين أهمية المقارنة بين روسيا والولايات المتحدة حيث لا يزال النظام الإقطاعي قائماً. واستخلص أن الديمقراطية الاجتماعية في روسيا، لا يمكنها أن تتطور بالطريقة نفسها التي تطورت بها في ألمانيا، وبشروطها. كانت عملية تطبيق الماركسية على الواقع الروسي ضرورية جداً، وسترتدي، في وقت لاحق، أهمية نظرية وعملية في أن معاً. فقد حفزه ذلك على ابتكار شعارات ووسائل دعائية، وخطط عمل ملائمة لها، كلما كان يتجه بتفكيره نحو الشرق.

■ ألا تعتقد أن أطروحة لينين القائلة بأن الإمبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية، قادت إلى مراجعة مواقف الماركسية الكلاسيكية حول نضال الشعوب ضد الاستعمار، وإلى اعتباره نضالاً ثورياً؟
هذا صحيح. في أطروحته حول النضال ضد الاستعمار، وقضايا التحرر الوطني خارج أوروبا، قارن لينين بين الجزائر في الإمبراطورية الفرنسية، وتركستان في الإمبراطورية الروسية. وشبه أيضاً نضال الشعوب المستعمرة في روسيا الإمبراطورية، بالنضالات للتحرر من سلطة الإمبراطوريات

أوحى
لينين
للمنظمات
التي ينتشر
فيها
المسلمون
بتحاشي
أي انتقاد
غبي
لِلإسلام